61 - السيدة سارة

إسلامها

اسمها سارة مولاة لعمرو بن صيفي بن هاشم، قدمت إلى المدينة، وطافت أحياءها باحثة عن أحد أماكن اللهو، لتغني فيه وتعيش من أجره، دون أن يدور بخلدها أن المدينة قد طهَّرها الإسلام، وخلَّصها من تلك المنكرات المحرَّمة.

وعلى الرغم من عدم إسلامها قرَّرت سارة أن تذهب إلى مسجد النبي ﷺ في الصباح لتقابله وتسأله أن يعطيها ويكسوها مما يعطي الناس منه.

كان الصباح بداية لشهر رمضان، ورأت سارة أن أحداً ممن مرَّت بهم في طريقها لا يعيرها أدنى التفاتة، حتى إذا بلغت المسجد رأت أناساً يصلُّون، وآخرين يتلون القرآن.

ثم نظرت فرأت رجلاً يتحلَّق الناس حوله، عليه حلَّةٌ من المهابة والوقار ألقت في روعها أنه رسول الله ﷺ الذي سمعت بظهوره، فدنت منه وسألته ما يسدُّ حاجتها ويستر جسدها، فأعطاها مما تيسَّر فشهدت شهادة الحق، وأعلنت إسلامها بين يديه.

وكان النبي ﷺ يحدِّث أصحابه أنه سيباغت قريشاً في عقر دارها بمكة، وراح رسول الله ﷺ يدعو: **«اللَّهُمَّ خُذ العُيُونَ وَالأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْش حَتَّى نَبْغَتَهَا في بلادِهَا، اللَّهُمَّ خُذْ عَلَى أَسْماعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ فَلا يَرَوْنَا إلاَّ بَغْتَةً، ولا يَسْمَعُونَ بِنَا إلاَّ فَجْأَةً»**.

حملها كتاب حاطب

وكان أحد المهاجرين، ويدعى حاطب بن أبي بلتعة، حليفاً لقريش، فكتب كتاباً ينذرها فيه بنية رسول الله ﷺ لتأخذ أهبتها، ولكن من ذا الذي يحمل كتابه لها؟ ووجد حاطب الحل، واختار سارة وأعطاها الكتاب وأوصاها بإخفائه.

حَدَّثَ عَليُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ. حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، سَمِعْتُهُ مِنْهُ مَرَّتَيْنِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: أَخْبَرنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ أبي رافِعٍ قال: سَمِعْتُ عليًّا ﷺ يَقولُ: بَعَثَني رسُولُ اللهِ ﷺ أنَا والزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ قَالَ: «**انطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً ومَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا**».

فانطَلَقْنا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا، حَتَّى انْتَهَيْنا إلى الرَّوْضَةِ فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ، أو لَنُلْقِيَنَّ الثِّيابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقاصِهَا، فأَتَيْنَا بِهِ رَسُول الله ﷺ فَإِذَا فيهِ: من حَاطِبِ بْن أبي بَلْتَعَة إلى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكينَ مِنْ أهْل مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أمر رسُولُ الله ﷺ، فَقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يا حَاطِبُ، ما هَذَا؟**» قال: يا رَسُول الله، لا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إنِّي كُنْتُ امْرأً مُلْصَقاً فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرينَ لَهُم قَراباتٌ بِمَكَّة يَحْمُونَ بِهَا أهِليهِمْ وأموالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فيهِمْ أنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَداً يَحْمُون بِها قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْراً، ولا ارْتِداداً، ولا رضاً بالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلام، فَقال رَسُولُ الله ﷺ: «**لَقَدْ صَدَقَكُمْ**».

وَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَضربْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِق، فَقَالَ

رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِد بَدْراً، وَما يُدْرِيكَ لَعلَّ الله أن يَكُونَ قَدْ اطَّلَع عَلَى أَهْل بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[1].

ونزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ [الممتحنة: 1].

وارتدَّت سارة عن الإسلام، وعادت إلى مكة ونسيت تكريم رسول الله ﷺ لها، ودخل رسول الله ﷺ مكة بجند الإيمان، وأمر بقتل أناسٍ ولو كانوا متعلِّقين بأستار الكعبة، لما آذوا به المسلمين، ومنهم سارة، فاختفت عن الأعين مدة من الزمن.

ولما ضاقت عليها الأرض بما رحبت أتت النبي ﷺ وسألته الصفح عن جهلها، وعادت إلى الإسلام، فقبل منها، وأمَّنها، أليس هو الرحمة المهداة للعالمين؟! بلى!! إنه كذلك.

(1) رواه: البخاري/كتاب: الجهاد والسير/باب: الجاسوس/برقم: (2785).